الوسطية في الإسلام
تعريفها ومجالاتها وتطبيقاتها

أ/ نصر الدين وراش
جامعة الجزائر 1

مقدّمة:

بسم اللّه الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

إنّ عظمة دين الإسلام وانتشاره في أصقاع الأرض في فترةٍ زمنيةٍ عجيبة، ودخول ملايين البشر فيه عن حرية واقتناع، على اختلاف لغاتهم وأديانهم، إنّما يعود إلى جملةٍ من الخصائص انفرد بها هذا الدين عن غيره من الديانات أو المذاهب التي عرفتها البشرية، ويأتي على رأس تلك الخصائص كونه دين الوسطية التي توافق الفطرة البشرية التي فطر اللّه الناس عليها دون تقصير أو إعنات.

إنّ وسطية الإسلام تتجلى في أبهى صورها من خلال عقيدة التوحيد التي هي دليل المؤمن في نظرته إلى الدنيا والآخرة، ونظرته إلى الحياة والعالم من حوله، وتتجلى في الشريعة من خلال العبادات بالاعتدال فيها وبالمعاملات تيسيرا ودفعا للضرر ورفعا للحرج، ثمّ من خلال الأخلاق التي تضبط سلوك الناس وتُعَدل تصرّفاتهم، فلا إفراط.

فما هي الوسطية؟ وما هي مجالاتها؟ وفيم تتبدّى؟

هذه الأسئلة هي التي سأجيب عنها من خلال الخطة التالية:

المبحث الأول: تعريف الوسطية وبيان أهميتها.

المبحث الثاني: مجالات الوسطية في الإسلام.

المبحث الأول: تعريف الوسطية وبيان أهميتها.

أولاً: تعريف الوسطية لغةً.

تدور معاني كلمة (وسط) في اللغة وما اشتق منها على معنيين اثنين:

1 - ما كان وسطا بين طرفين.

2 - العدل والخيار.

قال ابن فارس[1]: «الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه، قال تعالى ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

ويقولون: ضربت وسط رأسه بفتح السين، ووسط القوم بسكونها، وهو أوسطهم حسبا، إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلا»[2].

وفي المعجم الوسيط: وسط الشيء ما بين طرفين، والمعتدل من كل شيء... وفي التنزيل العزيز ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾عدولا خيارا، وهو من وسط قومه، من خيارهم[3].

وذكر الإمام ابن الجوزي مذاهب العلماء في المراد بالصلاة الوسطى أنها ثلاثة أقوال:

- أحدها: أنها وسط الصلوات محلا.
- والثاني: أوسطها مقدارا.
- والثالث: أفضلها.

ثم قال: « ووسط الشيء خيره وأعدله»[4].

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن كلمة (وسط) تستعمل في معان عدة أهمها:

1- يعنى الخيار، والأفضل، والعدل.

2- قد ترد لما بين شيئين فاضلين.

3- وتستعمل لما كان بين شيئين وهو خير.

4- وتستعمل لما كان بين الجيّد والرديء، والخير والشر.

5- وقد تطلق على ما كان بين شيئين حسا، كوسط الطريق، ووسط العصا، وقد تأتي لمعاني أخرى[5]

وفي رأيي أنّ هذا تمطيط وحشو لا مبرر له، فهذه المعاني كلها ترجع إلى المعنيين السابقين اللذين سبقت الإشارة إليهما في صدر التعريف.

ثانيا: تعريف الوسطية اصطلاحًا:

إنّ وسطية الإسلام في مفهومها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتعريف اللغوي للكلمة، فهي أمة العدل والخيرية التي استحقت بها أن تكون الأمة الشاهدة على غيرها من أمم الأرض.

إنّ وسطية الإسلام ليست وسطية فلسفية كما هي عند أرسطو الذي تعني الوسطية عنده، تداخل الشيئين، لكي يتكون منهما في النهاية شيء آخر، ثالث يلغيهما، ويقف بدلا منهما.

وقد ظهرت وسطية أرسطو في مباحث الأخلاق.

فالشجاعة مثلا: حد جديد، مقتضاه إلغاء حدين آخرين: الجبن والتهور، ولكنه غيرهما وهو فضيلة ووسط بين رذيلتين.

وقد انتقدت الوسطية الفلسفية في مجال الأخلاق بالذات، بأنها تحاول أن تضع للأخلاق موازين حسابية أو هندسية.

وهذا المقياس لا يصح إلا إذا كان مفروضا على الإنسان أن يختار بين رذيلتين محققتين، فيختار التوسط بينهما.

إن الزيادة في الكرم لا تعد في كل حال إسرافا، والزيادة في الشجاعة لا تعد دائما تهورا.

إذ أن ذلك يتوقف على ظروف عديدة وبواعث نفسية، ومصالح عامة، بحيث تصبح زيادة الشجاعة، أو المبالغة في الكرم، زيادة في الفضل، دعت إليها ظروف أو بواعث، أو مصالح اجتماعية[6].

ومن مجموع التعاريف التي ذكرها المفسرون واللغويون للوسطية ومعانيها، نستطيع أن نستخلص تعريفا اصطلاحيا لها بأنها (هي مجموع صفات الخيرية والعدالة التي فضل الله بها هذه الأمة المحمدية الخاتمة ليجعلها الأمة القائمة بالحجة والشهادة على غيرها من أمم الأرض)[7].

ثالثا: أهمية الوسطية.

إنّ دين الإسلام هو دين الوسطية والاعتدال، وليس هذا الكلام من قبيل الانفعال الإنشائي الخطابي، ولكنه الحقيقة التي دل عليها دستور الإسلام الخالد وهو القرآن الكريم وأيدتها نصوص السنّة الشريفة، وأحكام الشريعة في تطبيقاتها الجزئية والكلية.

يقول الله عزوجل في بيان منهج هذه الأمة المحمدية الشاهدة على الأمم ممتنا عليها ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[8].

يقول الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - في بيان معنى الوسطية التي أشارت إليها الآية الكريمة: «أرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلو بالترهبن وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها»[9].

وهذا المنهج الوسط هو الذي علمنا الله أن ندعو بالهداية إليه في كل صلاة يؤديها المؤمن من فريضة أو نافلة في جنح الليل أو لمعة الفجر ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[10].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - «هم وسط في النِّحَل، كما أن ملة الإسلام وسط في الملل، فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله، وعباده الصالحين لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم أربابا من دون الله والمسيحَ ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما

يشركون، ولا جفوا كما جفت اليهود، فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقا وقتلوا فريقا.

ومن ذلك أنّ المؤمنين توسطوا في المسيح فلم يقولوا هو الله، ولا ابن الله، ولا ثالث ثلاثة كما يقول النصارى، ولا كفروا أو قالوا على مريم بهتانا عظيما حتى جعلوه ولدَ بغيةٍ كما زعمت اليهود، بل قالوا: "هذا عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه"»[11].

والمنهج الوسط هو الذي أمرنا الله بسلوكه وتنكب مناهج الغي المتناثرة عن يمينه وشماله، وهي بنيات الطريق، اللاحب المعتدل، قال الله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[12].

وقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى وكأنه يفسر الآية تفسيرا تمثيليا ليكون أرسخ في الأذهان وأعمق في الأفهام، فعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال: «خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما، ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال: هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾»[13].

إن من الدلالات التي يشي بها هذا الحديث الشريف أن منهج الوسطية والاعتدال منهج واحد لا يتعدد، وهو المنهج الذي ارتضاه الله لهذه الأمة المحمدية المرحومة، وهو المعنى الذي تشير إليه الآية السابقة في قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ﴾فهي أمة الوسط بجعل الله لها دون سواه.

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى- : «فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وخير الناس النمط الأوسط، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين، ولم يلحقوا بغلو المعتدين، وقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه الأمة وسطا، وهي الخيار العدل لتوسطها بين الطرفين المذمومين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط»[14].

ويعبر في موضع آخر عن هذا المعنى تعبيرا أجمل فيقول: «ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان، إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو.

ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه كالوادي بين جبلين والهدى بين ضلالتين والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد»[15]

المبحث الثاني: مجالات الوسطية في الإسلام:

إنّ وسطية الإسلام تنتظم الدين كله في جميع مناحيه وتفرعاته عقيدةً وشريعةً وسلوكاً، ويمكن بيان تلك المجالات فيما يلي:

أولاً: وسطية الإسلام في العقيدة:

إنّ العقيدة في الإسلام عقل مستنير متفتح ناقد، ينظر في آفاق الكون الفسيحة وآياته الباهرة مستدلا على وجود إله خالق حكيم قد أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، كما ينظر في آيات الكتاب المنزل وهو القرآن الكريم وما حواه من أدلة عقلية باهرة تهدي إلى إيمان مستقر على قدم راسخة من حسن الجدال والإقناع.

كما أن العقيدة في الإسلام عاطفة جياشة تدفع إلى العمل المثمر وترفض الأساطير والدروشة.

إنّ العقيدة الإسلامية ليست نظريات فلسفية عقيمة تحمِّل العقل عنت البحث في مجاهل ما وراء الطبيعة ثم لا تزيده بعد طول الشرود إلا حيرةً وخبالاً، وليست تهويمات مجنحة تسلم قيادها في بلاهة عجيبة لأباطيل السحر وأساطير الآلهة الكذوبة.

ففي الحديث عن الله تعالى وصفاته وأسمائه وما يجوز عليه وما لا يجوز وما ينبغي له وما لا ينبغي نقرأ قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[16].

وفي الحديث عن أركان الإيمان نقرأ قوله تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾[17].

وقوله تعالى ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[18].

كما تتجلى وسطية الإسلام في العقيدة من خلال ما قرره العلماء من أنّ ثمرة العقيدة الإسلامية هي الفوز بسعادة الدارين والظفر بما هو كمال في الكونين، فأما في الدنيا فبانتظام أمر المعاش بالمحافظة على العدل والمعاملة التي يحتاج إليها في بقاء النوع الإنساني على وجه لا يؤدي إلى الفساد، وأما في الآخرة فبالنجاة من العذاب المترتب على الكفر وسوء الاعتقاد[19].

ثانياً: وسطية الإسلام في الشريعة:

• **وسطية الإسلام في العبادات:** إنّ العبادة في الإسلام تجمع بين أشواق الروح ومطالب الجسد، فهي ليست تسابيح حالمة في عالم الأرواح تغفل خصائص الفطرة البشرية، كما أنها ليست إيغالا في عالم المادة وترد في مهاوي الحيوانية البغيضة.

وإنما شعار العبادة في الإسلام هو قول الله تعالى ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾[20].

وقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تنهى عن التشدد والغلو، ومجاوزة الحد في العبادة، ومراعاة الضعف البشري، وبيان أن نفي الحرج والتضييق يعد أصلا من أصول الشريعة المرعية.

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[21].

وقال سبحانه في بيان حقيقة هذا الدين وروحه ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾[22].

وقد تبين لي بالتأمل في النصين السابقين أن كلمة (حرج) جاءت نكرة مجرورة مسبوقة بالنفي، والقاعدة في مثل هذا أن حرف الجر (من) هو صلة

وتوكيد، جيء به لاستغراق معنى النفي، أي أن الحرج في هذا الدين منفي بإطلاق في صغير أمور الشرع وكبيرها.

ومن القواعد الفقهية المقررة عند علماء الشريعة قولهم [المشقة تجلب التيسير]، وقولهم [إذا ضاق الأمر اتسع]، وقولهم [لا تكليف إلا بمقدور]، وهي قواعد مستمدة من الاستقراء التام لنصوص الشريعة فعلا وتركا[23].

وقد كان النبي ﷺ بسنته الفعلية والقولية ينهى أشد النهي عن مجاوزة الوسطية- وهي سمة هذا الدين البارزة - إلى التشديد والغلو والرهبنة فقال: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم »[24].

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»[25].

ونهى عليه الصلاة والسلام بعض الصحابة الذين كانوا يريدون التشدد في العبادة والتعمق فيها وتحميل أنفسهم مشقة تخالف وسطية هذا الدين وسماحته في التعبد، فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: «دخل النبي ﷺ المسجد فإذا بحبل ممدود بين ساريتين فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ: حلّوه ليُصَلّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد»[26].

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – معروفا بالجلد في العبادة ذا نهم ونشاط فيها فرده النبي ﷺ إلى المنهج الوسط بقوله «صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينيك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا... »[27].

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: «بينما النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس، ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي ﷺ: مروه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه»[28].

وقد قرر الإمام الشاطبي – رحمه الله – «أن النهي عن التشديد شهير في الشريعة بحيث صار أصلا فيها قطعيا»[29].

• **وسطية الإسلام في المعاملات:** إذا كان من الأصول المقررة في الشريعة أن العبادات مبناها على المنع والتوقيف إلا بدليل منعا لتسرب البدع والمحادثات التي أفسدت شرائع الأمم السابقين، والأصل في هذا الباب هو قوله ﷺ «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[30]، أي مردود عليه وغير متقبل منه، إذا كان كذلك الأمر في العبادات فإنّه عكس ذلك تماما في باب المعاملات والعقود وتصرفات الناس في معايشهم، فقد قرر علماء الأصول أن الأصل في الأشياء الإباحة، وبناء على هذا فيحكم بصحة كل عقد أو تصرف لم يرد في الشرع ما يدل على فساده أو بطلانه[31].

ونهى الله سبحانه وتعالى أن يحرم المسلم على نفسه شيئا من الطيبات التي أباحها بزعم التقرب إليه فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾[32].

فقد رسمت هذه الآية الكريمة معالم الوسطية التي نادت بها نصوص الوحي في أمور معاش الناس ومعاملاتهم وأنّ الانحراف يمنة أو يسرة هو من الاعتداء الذي يمقته الله ولا يرضاه، فليس من شأن الناس أن يحرموا على أنفسهم طيبات أحلها الله لهم، كما أنه لا يجوز الاعتداء في التمتع بتلك الطيبات، بل هو توسط واقتصاد ومراعاة تقوى الله في كل الأحوال.

وفي مجال المعاملات المالية التي هي اليوم الميدان الرحب الذي كثر فيه لهاث الناس وصخبهم، واستغله المستكبرون لامتصاص دماء المستضعفين عن طريق الربا الفاحش والغش والتغرير والمقامرة، نجد أن المنهج الوسط الذي جاء به الإسلام هو الظل الظليل الذي يمكن أن تأوي إليه البشرية من وقدة ذلك الصراع المحتدم الذي أضناها وبعثر جهدها بل أصابها بالجنون والدمار وأدخلها أتون الأزمات الاقتصادية الخانقة.

فبين الله تعالى في كتابه أن البيع والمنافسة الشريفة وتبادل المنافع بين الناس مما أحله الله وأباحه، بينما استغلال المستضعفين واستعباد المحتاجين عن

طريق الربا هو من السحت الذي حرمه الله أشد تحريم، قال الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[33].

وإذا كان ميدان القروض والمداينات هو من الميادين التي شهدت في تاريخ البشرية ألوانا من الحيف والظلم وهضم الحقوق، حيث كان الدائن يرهن المدين بالزيادة في الفوائد وفي بعض الأحيان يؤدي به الأمر إلى استرقاقه أو قطع بعض أعضائه والتنكيل به كما عرف في (بعض مواد القانون الروماني)[34]، أو شرائع الجاهلية الوثنية قبل الإسلام، فإن شريعة الله جاءت بالمنهج الوسط، فقد أمرت بأداء الأمانات إلى أهلها بحكم أن الدَّيْن من جملة الأمانات ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾[35].

وشددت في أمر الدَّيْن كثيرا، بيد أنها أرشدت من جهة أخرى إلى الرحمة بالمدين، وإن كان معسرا قد ضاقت كفه عن السداد أن يُنْظَر إلى ميسرة، بل أرشدت إلى منقبة أسمى وأعلى وهي أن يتصدق الدائن بمبلغ الدَّيْن على المدين المعسر الذي قد أحكم الدَّيْنُ خناقه عليه فقال تعالى ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[36]، بل جعلت للمدين الغارم حقا في الزكاة المفروضة تدفع إليه فريضة من الله دون منة من أحد تقيم أوده لسداد الدين الذي ركبه، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[37].

ولا أجدني مبالغا إن قلت إن هذه المنقبة لم تعرفها شريعة في حياة البشرية قديمها وحديثها، فالنظام المصرفي المعاصر إنما أسس أصلا على فلسفة ربوية متوحشة تزيد الغني ثراء، وتزيد الفقير عوزا ودمارا تكون نتيجته الحتمية الانهيار والإفلاس والأزمات الخانقة التي تأخذ بتلابيب الأنظمة الإقتصادية المعاصرة، أما في شريعة الإسلام العادلة وسدًّا لذريعة أكل أموال الناس بالباطل فقد قرر فقهاؤنا أن [كل قرض جر نفعا فهو ربا][38].

ثالثاً: وسطية الإسلام في السلوك والأخلاق:

إنّ منظومة الأخلاق والسلوك في الإسلام هي صورة وضيئة وانعكاس طبيعي لما استقر في قلب المؤمن من عقيدة وسطية تتسق مع نظرة تلك العقيدة المعتدلة إلى الخالق والأحياء والكون الذي من حوله، فهي عقيدة تدفع الإنسان إلى طلب أقصى ما يمكن أن تبلغه الطبيعة البشرية من كمال وسمو في السلوك والأخلاق، وأولى مظاهر ذلك الكمال الخلقي الاعتراف للخالق سبحانه بالوحدانية والعبودية والخلق والإيجاد، والاستسلام له في الأمر والنهي، لأن أخس دركات الهبوط في الرذيلة منزلةً هو جحود الخالق، وكفران نعمه، ورفض القيام بالعبودية له سبحانه وتعالى.

ونبي الإسلام يبين أن من أعظم الأهداف التي بعث لتحقيقها في الحياة إتمام مكارم الأخلاق فقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[39].

وجاء القرآن الكريم ببيان كثير من جزئيات السلوك والأخلاق التي تجعل من المؤمن شخصا متوازنا في نفسه وخلقه أولا، ثم مع ذويه ومن يليه ثم مع مجتمعه الذي يعيش فيه، ثم تتسع الدائرة لتشمل الإنسانية جمعاء.

ففي مجال الزينة والتمتع بالطيبات دون إسراف ولا إقتار يقول الله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[40].

وقال مؤكدا لهذا السلوك الشخصي ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾[41].

فالقرآن الكريم يدعو في هذين النصين إلى التوسط في الأخذ من مباهج الحياة وطيباتها بين الإسراف ومجاوزة الحد إلى درجة التبذير والانبساط في شهوات الدنيا الذي يجعل الإنسان يتردى إلى دركات هابطة من الحيوانية البغيضة، كما يدعو إلى عدم الإجحاف والإقتار إلى الحد الذي يجعل الإنسان عذابا على نفسه وعلى من حوله.

وفي سلوك الإنسان في بيته وتصرفه مع أهله يدعو القرآن إلى خلق رفيع ولكنه توسط بين التضييق والإطلاق الذي يجعل الإنسان لا يقيم وزنا للعورات والحرمات التي أمر الله أن تصان، قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[42].

فقد بين النص أن وجوب الاستئذان يجب على الصبيان والمملوكين بحكم كونهم طوافين على أهلهم في أوقات ثلاثة من عادة الناس أنهم يكونون غير متحفظين فيها لإشغالهم بأمورهم الخاصة، أما غيرهم فيجب عليهم الاستئذان في كل الأوقات ومراعاة الآداب المعروفة في جزئيات الأحكام الأخرى.

ومن نصوص القرآن التي تناولت جزئيات كثيرة من أنواع السلوك الإنساني قوله تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا .... ﴾[43]، ثم يمضي النص الكريم في سبع عشرة آية كاملة يوصي بالإحسان إلى ذوي القربى والمسكين وابن السبيل، وينهى عن التبذير في الإنفاق، كما ينهى بالمقابل عن الشح، ثم ينهي عن فاحشة الزنا وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، ثم يوصي باليتيم، وينهى عن أكل ماله بالباطل، ويوصي بالوفاء بالكيل، وينهى عن تتبع الأخبار والمرويات بدون علم ولا بينة، وينهى عن التكبر في الأرض، ثم يختم تلك الأحكام بقوله ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ ﴾ ففي هذا النص من الشمول لجزئيات كثيرة من أنواع السلوك التي أرشد الله فيها إلى وجه الحكمة، ما يعطي صورة رائعة لاهتمام الإسلام بدفع الإنسان إلى الكمال السلوكي في كل تصرف يمارسه في حياته[44].

من هذا المنهج الأخلاقي المتكامل الذي يعمل عمله في نفس الفرد المسلم ليرسخ في نفسه معاني التوازن والاعتدال والتوسط، ندرك بعدئذ وسطية الإسلام في موقفه من المخالفين في الدين والعقيدة إذ أن تاريخ البشرية مطرز الصفحات بدماء الأبرياء الذين راحوا ضحية الصراعات الدينية والمذهبية، ولا زالت أصداء المذابح المروعة تتردد بين جنبات الأيام ويحكيها السابق للاحق.

يقول الله تعالى مبينا موقف المسلم ممن يخالفه في الدين غير المعتدي على الأرض والعرض ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[45].

يقول الإمام ابن جرير – رحمه الله –: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم من أجل دينكم، من جميع أصناف الملل والأديان ولم يخرجوكم من بلادكم ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ﴾ أن تصلوهم، وتعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم وبركم بهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ إن الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس فيبرون من برهم ويحسنون إلى من أحسن إليهم»[46].

وأرشد الله تعالى إلى مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن قال تعالى ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[47].

ونلاحظ أن النظم الكريم إنما جاء بلفظ (أحسن) الذي يدل على بذل الوسع في اختيار الأسلوب الأمثل في مجادلة أهل الكتاب، وذلك أن العنف والفظاظة في الحوار والمجادلة تنفر الطرف الآخر وتزرع في نفسه النفور من الحق ومقابلة الجفاء بمثله.

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي[48] – رحمه الله – معلقا على الآية: «ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد على الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، إلا من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله لأن المقصود منها ضائع»[49].

وكم أساء المتشددون المنفرون اليوم للإسلام بخطابهم الخشن الذي تفوح منه روائح الدم والبارود ظانين بذلك أنهم يعرضون على الناس دين الله كما أنزله على محمد ﷺ وهو الذي قال له ربه ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾[50].

إننا اليوم في هذا الواقع الذي يهدر بوسائل الإعلام المختلفة، حيث تفنن أصحاب الأديان والنحل والشعارات في عرض زخرفهم على الناس، يجب على

الدعاة إلى دين الله تعالى وهم يدعون إليه أن يتفيؤوا ظلال قول الله الكريم ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[51].

إن عظمة الإسلام ووسطيته في جانبه الأخلاقي والسلوكي يكاد ألقها وجمالها ليأخذ بالأبصار من خلال منهجه الدعوي بالتأمل في توجيهات الآية الكريمة السابقة.

«إن الدعوة دعوة إلى سبيل الله، لا لشخص الداعي ولا لقومه...

والدعوة بالحكمة، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه.

وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو سوء نية، فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ.

وبالجدل بالتي هي أحسن، بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح...»[52].

ومعلوم في واقعنا المعاصر وفي ظل الحضارة المادية الطاغية أن ميدان الحروب هو ميدان تنعدم فيه القيم الأخلاقية أو تكاد، وأن الحق للغالب، وأن المنطق السائد هو منطق القوة وحدها، بيد أن الأمر ليس كذلك في المفهوم الأخلاقي الإسلامي، فحتى في ذلك الميدان وبإزاء ركام الجاهلية الذي يكاد يحجب الأنظار، تلوح للناظر قيم الإسلام، ونظمه الأخلاقية العظيمة، فهذا رسول الله ﷺ وهو يبعث البعوث، ويعقد الرايات للجهاد في سبيل الله يتوجه لقادة السرايا ومن معهم من جموع المجاهدين بهذه التوجيهات التي تقف البشرية اليوم أمامها مشدوهة باهتة، فعن بريدة[53] -رضي الله عنه- قال: «كان الرسول إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه

في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال: اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك، وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا»[54].

ففي ضوء هذا الحديث وغيره من النصوص نتبين المنهج الإسلامي الأخلاقي الوسطي فيما يلي:

- النهي عن الاعتداء: قال الله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ ﴾[55]، فالقتال في الإسلام هو لحكم سامية رأسها نشر هذا الدين، وإذا قام هذا القتال فلا يجوز الاعتداء، وهذا ظاهر في نهي النبي ﷺ عن المثلة وقتل الوليد.

- عدم الإجبار على دخول الإسلام، بل يقع التخيير بين ثلاثة أمور:

- ❖ الإسلام
- ❖ الجزية
- ❖ القتال

فالمحارب مخير بين أن يقيم تحت سلطان المسلمين آمنا على نفسه وماله وعرضه ودينه إن لم يرض بالإسلام، على أن يدفع الجزية، فإن رفض الإسلام والجزية فقد أعذر المسلمون إليه ولابد من قتاله.

- عند إعطاء العهد أو الدخول تحت ذمة المسلمين أو أمانهم يجب الوفاء بالعهد، وأن يستقيم المسلمون على العهد ما استقام لهم الكافرون، ولذلك ورد في الحديث النهي عن الغدر، وشواهد الأمر بالوفاء للمعاهد كثيرة في القرآن من أبرزها قول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ [56]. [57]

إنّ فلسفة الإسلام الأخلاقية ونظرته للإنسانية ومعانيها يمكن أن تفهم من قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [58].

المبحث الثالث: تطبيقات الوسطية:

أولا: وحدة الأصل الإنساني:

فالخطاب العام بصورة النداء بعنوان الإنسانية الأعم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ جعل من متعلق الخطاب وحدة الإنسانية في نشأتها الأولى.

وتقديم عنوان الأبوة هنا في الذكر البياني على عنوان الأمومة للإشارة إلى أن الأبوة هي الأصل الأصيل، وجعل ما تكاثر من الفروع شعوبا وقبائل إشارة إلى طبيعة الاجتماع الإنساني في تكاثره بالولادة والتناسل، وتفرعه إلى وحدات تنضوي كل وحدة منها تحت لواء واحد، تجعله عنوانها الخاص تطلبا لقرب الروابط الواشجة بين أفراد كل وحدة، وهذه الوحدات هي الشعوب والقبائل التي تكونت بجعل الله وهدايته لتتعارف وتتقارب وتتعاون وتتراحم في ظل المساواة الإنسانية، مساواة عامة في الحقوق والواجبات.

وقد كان أول تطبيق عملي لهذه الآية في الوجود[59] الإنساني هو ما صنعه رسول الله ﷺ فقد قام بهذه الصيحة المدوية في أعظم مجتمع ضم أكبر عدد من أبناء البشرية المستظلين بلواء الإيمان في وحدة العقيدة الإسلامية في حجة الوداع، فعن أبي نضرة[60] قال: حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق

فقال «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله ﷺ»[61].

وقد كان النبي ﷺ بفعله وهديه يؤكد وحدة هذا الأصل، ففي هذه القصة التي رواها جرير بن عبد الله البجلي[62] – رضي الله عنه – تأكيد لمعاني المساواة والمؤازرة وتذكير بوحدة الأصل والأرومة، يقول - رضي الله عنه - «كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالا فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ والآية التي في الحشر ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ ﴾ تصدق رجل من دينار، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة...»[63].

يقول الإمام النووي– رحمه الله – «سبب قراءة هذه الآية أنها أبلغ في الحث على الصدقة عليهم، ولما فيها من تأكد الحق لكونهم إخوة»[64].

ثانيا: وحدة الدين:

ونعني بوحدة الدين أنّ الدين الذي ارتضاه الله للبشرية هو دين واحد وهو دين الإسلام من لدن آدم إلى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وما تخلل هذه السلسلة الشريفة من موكب الأنبياء والرسل الكرام – عليهم صلاة الله وسلامه – وبهذه الحقيقة نطقت صحائف الوحي المنزل قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[65]، وقال ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[66]، والإسلام هو الدين الذي وصى به الأنبياء ذريتهم من قبل وهو الأمانة التي استحفظوهم إياها، قال تعالى ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ

إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[67].

فهذه هي الحقيقة الكبرى أن الإسلام دين الله الذي ارتضاه لكل الشعوب والأمم على اختلاف ألسنتها وأوانها وأصولها، وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في غير ما آية من آياته كما في قوله تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾[68]، وهذا المعنى العظيم هو الذي عبر عنه النبي ﷺ بقوله «أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات، وليس بيني وبينه نبي»[69].

يقول الإمام القسطلاني[70] «ومعنى الحديث أن حاصل أمر النبوة والغاية القصوى من البعثة التي بعثوا جميعا لأجلها دعوة الخلق إلى معرفة الحق، وإرشادهم إلى ما به ينتظم معاشهم ويحسن معادهم، فهم متفقون في هذا الأصل وإن اختلفوا في تفاريع الشرع التي هي كالموصلة المؤدية والأوعية الحافظة له، فعبر عما هو الأصل المشترك بين الكل بالأب ونسبهم إليه، وعبر عما يختلفون فيه من الأحكام والشرائع المتفاوتة بالصورة المتقاربة في الغرض بالأمهات، وهو معنى قوله "أمهاتهم شتى ودينهم واحد".

أو أن المراد أن الأنبياء وإن تباينت أعصارهم وتباعدت أيامهم فالأصل الذي هو السبب في إخراجهم وإبرازهم كلا في عصره أمر واحد، وهو الدين الحق، فعلى هذا فالمراد بالأمهات الأزمنة التي اشتملت عليهم»[71].

ثالثا: التقوى أساس التفاضل بين البشر:

في واقع الناس – للأسف – وفي غابرهم أمثلة سيئة لرهط من الغواة أو الطغاة استهوتهم المراتب والسلطان أو استغوتهم الأموال والرياش، أو نظروا إلى كرم المحتد، وشرف الأرومة، وصنائع الآباء السابقين، فظنوا أن هذه الموازين الأرضية هي مقياس الخيرية والتفضيل عند الله وعند خلقه، بيد أن حقائق التنزيل كانت قوية هادرة مزلزلة لتلك الأصنام المرذولة، مصححة لتلك المعتقدات المحقورة معلنة الحقيقة الخالدة أن تفاضل البشر إنما يكون بكمالات نفسية روحية وخلقية هي أنظف وأشرف من تلك الوهدة الهابطة التي يقيس بها بعض الناس الكمالات في البشر والعظمة فيهم.

بهذه الحقيقة الناصعة دمغ التنزيل العزيز تلك الأوهام المختلة قائلا ﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾[72].

والقرآن يضع لهم ميزان القيم كما هي عند الله ويبين لهم أن بسط الرزق وقبضه، ليست له علاقة بالقيم الثابتة الأصلية، ولا يدل على رضى ولا غضب من الله، ولا يمنع بذاته عذابا، ولا يدفع إلى عذاب، إنما هو أمر منفصل عن الحساب والجزاء، وعن الرضى والغضب، يتبع قانونا آخر من سنن الله ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

«وهذه المسألة، مسألة بسط الرزق وقبضه، وتملك وسائل المتاع والزينة، أو الحرمان منها، مسألة يحيك منها شيء في صدور كثيرة، ذلك حين تتفتح الدنيا أحيانا على أهل الشر والباطل والفساد، ويحرم من أعراضها أحيانا أهل الخير والحق والصلاح، فيحسب بعض الناس أن الله ما كان ليغدق على أحد إلا وهو عنده ذو مقام، أو يشك بعض الناس في قيمة الخير والحق والصلاح، وهم يرونها محوطة بالحرمان، ويفصل القرآن هنا بين أعراض الحياة الدنيا، والقيم التي ينظر إليها...»[73].

وهذه المقاييس المادية المنكوسة هي التي جعلت الذين غشيت على أعينهم غواشي الباطل يعرضون عن الحق ويحقرونه من خلال تحقير حملته لما يرون منهم – أحيانا – من شعث الحال، وضيق ذات اليد، ومسكنة المنظر، وقد صور القرآن هذا الحوار بين البطرين في نزقهم وعجبهم بدنياهم، وبين العصبة المؤمنة المستضعفة فقال ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾[74]، ثم يأتي الجواب الحاسم ليؤدب ذلك الصلف الشرود، ويعصف بتلك الحماقات المستعلنة قائلا ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾[75].

لكن يبدو أن المبطلين على مرّ التاريخ لهم منطق بليد لا يتعظ من مثلات الله وأيامه، وسننه حتى ينزل بهم القدر المحتوم.

واقرأ قول الله تعالى وهو يقص سيرة قوم ذهبوا مع الدهر الغابر، وهم قوم عاد كيف كان منطقهم هو هو لم يتبدل، وكذلك الكفر والباطل ملة واحدة، والعين الحمئة التي ترضعه هي هي على اختلاف الزمان والمكان.

قال الله تعالى ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[76].

ولقد كان النبي ﷺ في هذه القضية واضحا إلى حد التهديد عندما قال «لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم من جهنّم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي، أو فاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب»[77].

يقول الشيخ علي القاري[78] – رحمه الله – «والمعنى لينته من شرّفه الله، وخلع عليه حلل الإسلام، ورفعه من حضيض الكفر إلى يفاع الإيمان عن هذه الشنعاء، وإلا فيحطه من تلك المنزلة، ويرده إلى أسفل السافلين من الكفر والذل فإن تشبيههم بأخس الحيوانات في أخس أحواله يدل عليه، فالمعنى: ما ذاك العزيز الكريم عند الله إلا رجل تقي، وما ذاك الذليل الدنيء عنده إلا فاجر شقي»[79].

وبعد إن الأمة الإسلامية هي «أمة الوسط بكل معاني الوسط، سواء من حيث الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أم من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أم الوسط بمعناه المادي الحسي.

﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ في التصور والاعتقاد، ...، ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ في التفكير والشعور، ...، ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ في التنظيم والتنسيق، ...، ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ في المكان، ...، ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ في الزمان»[80].

خاتمة:

هذه هي الوسطية في الإسلام، وهذه معانيها ومجالاتها، حاولت أن أجلي مفهومها ومجالاتها بقدر ما تسمح به مساحة البحث، ولاشكّ أنّ موضوع الوسطية من أهمّ المواضيع التي لا زالت تغري الباحثين لبذل مزيد من الجهد

لأجل الإشادة بـها، ودفع التهم الموجّهة زوراً لدين الإسلام بسبب بعض التصرفات الجهولة التي قد تبدر من بعض أبنائه، ويلصقونـها بـه ظلماً، وتعاليمُه وشـريعته تعلن البراءة منها.

الهوامش:

(1) هـو الإمـام أحمـد بـن فـارس بـن زكريـاء القـزويني الـرازي، مـن أئمـة اللغـة والأدب، مـن تصانيفه: معجم مقاييس اللغة، والمجمل، والصاحبي، وغيرها في علم العربية، توفي سنة 395ه. سير أعـلام النـبلاء (105/17)، الـذهبي، مؤسسـة الرسـالة، الطبعـة الثالثـة، 1985م، الأعـلام (193/1)، الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، 2002م.

(2) معجم مقاييس اللغة (108/6)، ابن فارس، دار الفكر، 1979م.

(3) المعجم الوسيط (1031/2)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، دون ذكر الطبعة والتاريخ، الصحاح (1167/3)، الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1987م.

(4) زاد المسير في علم التفسير (215/1)، ابن الجوزي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ.

(5) الوسطية في القرآن الكريم (33)، علي محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، مكتبة التابعين القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2001م، الوسطية في الإسلام (29)، فريد عبد القادر.

(6) الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله (31) وما بعدها، عبد الله بن عبد المحسن التركي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1418هـ.

(7) الوسطية في الإسلام (29)، فريد عبد القادر، الوسطية في القران الكريم (33)، علي محمد الصلابي، مرجع سابق.

(8) سورة البقرة: 143.

(9) جامع البيان في تأويل القرآن (142/3)، ابن جرير الطبري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2000م.

(10) سورة الفاتحة.

(11) مجموع الفتاوى (370/3، 373)، ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ.

(12) الأنعام: 153.

[13] رواه أحمد في المسند (208/7) رقم: 4142، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2001م. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين.

[14] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (182/1)، ابن القيم، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

[15] مدارج السالكين (464/2)، ابن القيّم، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1996م.

[16] البقرة: 255.

[17] البقرة: 285.

[18] البقرة: 177.

[19] العقيدة الإسلامية (15)، إبراهيم التهامي، دار قرطبة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2012م، المعرفة في الإسلام (175)، عبد الله القرني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1419هـ.

[20] سورة القصص: 77.

[21] المائدة: 06.

[22] الحج: 78.

[23] أصول الفقه (296) وما بعدها، أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، دون ذكر الطبعة والتاريخ، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية (218)، محمد صدقي الغزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1996م، الأشباه والنظائر (7/1)، السيوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1990م، المنثور في القواعد الفقهية (123/1)، الزركشي، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الثانية، 1985م، الرخصة الشرعية في الأصول والقواعد الفقهية (421) وما بعدها، عمر عبد الله كامل، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1999م.

[24] رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الحسد (276/4) رقم: 4904، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

[25] رواه البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ (يسروا ولا تعسروا) (30/8) رقم: 6124، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ.

[26] رواه البخاري، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة (53/2) رقم: 1150، مرجع سابق، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك (541/1) رقم: 784، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون كر الطبعة والتاريخ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

[27] رواه البخاري، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم (39/3) رقم: 1975، مرجع سابق، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر (812/2) رقم: 1159، مرجع سابق.

(28) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية (143/8) رقم: 6704، مرجع سابق.

(29) الموافقات (229/2)، الشاطبي، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، 1997م.

(30) رواه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (184/3) رقم: 2697، مرجع سابق، ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور (1343/3) رقم: 1718، مرجع سابق.

(31) الوسيط في أصول الفقه (561)، وهبة الزحيلي، المطبعة العلمية، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، 1969م.

(32) سورة المائدة: 88، 87.

(33) سورة البقرة: 275.

(34) الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله (66)، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مرجع سابق.

(35) سورة النساء: 58.

(36) سورة البقرة: 280.

(37) سورة التوبة: 60.

(38) القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة (654/1) القاعدة رقم 152، محمد الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 2006م، الأشباه والنظائر (226)، ابن نجيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1999م.

وقد روي مرفوعا إلى رسول الله ﷺ ولا يصح، انظر: فتح القدير (250/7)، ابن الهمام، دار الفكر، دون ذكر الطبعة والتاريخ، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير (89/3)، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1989م، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس (148/2) رقم 1991، العجلوني، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 2000م.

(39) رواه البخاري في الأدب المفرد (143/1) رقم: 273، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1998م، وأحمد (512/14، 513)، مرجع سابق، والبزار في مسنده من حديث أبي هريرة (364/15) رقم: 8949، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، من 1988 إلى 2009م، والبغوي في شرح السنة من حديث جابر (202/13) رقم: 3622، المكتب الإسلامي، دمشق-بيروت، الطبعة الثانية، 1983م، والبيهقي في سننه (323/10) رقم: 20782، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 2003م، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (112/1) رقم: 45، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، من 1955 إلى 2002م.

(40) سورة الأعراف: 31.

(41) سورة الفرقان: 67.

(42) سورة النور: 58.

(43) سورة الإسراء: من الآية 23 إلى 39.

(44) الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم (76) بتصرف، عبد الرحمن حبنّكة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1998م.

(45) سورة الممتحنة: 08.

(46) مختصر تفسير ابن جرير (446/2)، الصابوني، مكتبة رحاب، الجزائر، دون ذكر الطبعة والتاريخ، تفسير القرآن العظيم (118/8)، ابن كثير، دار الكتب العلمية، بيرو، لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ.

(47) سورة العنكبوت: 46.

(48) هو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي الحنبلي، ولد بعنيزة بالقصيم سنة 1307هـ وكان عالما محررا في علوم عديدة منها العقيدة والفقه، توفي - رحمه الله - سنة 1367هـ، مشاهير علماء نجد وغيرهم (256)، عبد الرحمن بن عبد اللطيف ابن محمد بن عبد الوهاب، دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى، 1392هـ.

(49) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (632)، عبد الرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2000م.

(50) سورة آل عمران: 159.

(51) سورة النحل: 125.

(52) في ظلال القرآن (2201/4)، سيد قطب، دار الشروق، بيروت- القاهرة، الطبعة السابعة عشرة، 1412هـ.

(53) هو بريدة بن الحصيب الأسلمي، صحابي مشهور من صحابة رسول الله ﷺ شهد المشاهد كلها إلا بدرا، توفي سنة 63هـ، سير أعلام النبلاء (369/2)، الذهبي، مرجع سابق.

(54) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها (1357/3) رقم: 1731، مرجع سابق.

(55) سورة البقرة: 190.

(56) سورة المائدة: 01.

(57) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة (46)، عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1992م.

(58) سورة الحجرات: 13.

(59) الموسوعة في سماحة الإسلام (205/1- 206) بتصرف، محمد الصادق عرجون، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1984م.

(60) هو أبو نضرة العبدي، الإمام المحدث الثقة، روى عن عدة من الصحابة وكان من كبار العلماء بالبصرة – الطبقات الكبرى (155/7)، ابن سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م، سير أعلام النبلاء (529/4)، الذهبي، مرجع سابق.

(61) رواه أحمد في المسند (474/38) رقم: 23489، مرجع سابق.

(62) جرير بن عبد الله البجلي، صحابي مشهور من صحابة رسول الله ﷺ، مات سنة 51ه، سير أعلام النبلاء (530/2)، الذهبي، مرجع سابق.

(63) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (704/2) رقم: 1017، مرجع سابق.

(64) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج (102/7)، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1392هـ.

(65) سورة آل عمران: 19.

(66) سورة آل عمران: 84.

(67) سورة البقرة: 131- 132.

(68) سورة الشورى: 13.

(69) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا ﴾ (167/4) رقم: 3442، مرجع سابق، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى – عليه السلام– (1837/4) رقم: 2365، مرجع سابق.

(70) هو العلامة الحافظ أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، المصري الشافعي، ولد سنة 851هـ بمصر ونشأ بها، له تصانيف كثيرة أشهرها شرحه على صحيح البخاري، توفي سنة 923هـ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر (106)، عبد القادر العيدروس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1405هـ، الأعلام (232/1)، الزركلي، مرجع سابق.

(71) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (416/5)، القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، 1323هـ، وانظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (489/6)، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

(72) سورة سبأ: من الأية 35 إلى 37.

(73) في ظلال القرآن (2910/5)، سيد قطب، مرجع سابق.

(74) سورة مريم: 73.

(75) سورة مريم: 74.

[76] سورة فصلت: 15.

[77] رواه أبو داود، باب في التفاخر بالأحساب (331/4) رقم: 5116، مرجع سابق، والترمذي، باب ومن سورة الحجرات (242/5) رقم: 3270، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط: إسناده حسن، جامع الأصول (617/10)، ابن الأثير، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، من 1969 إلى 1972م.

[78] هو الملا علي القاري، محمد نور الدين الهروي، فقيه حنفي من صدور العلم في عصره ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها سنة 1606م، له مصنفات كثيرة منها تفسير القرآن، وشرح مشكاة المصابيح وغيرها، الأعلام (12/5)، الزركلي، مرجع سابق.

[79] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (3074/7)، علي القاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002م. وانظر: معالم السنن (148/4)، الخطابي، المطبعة العلمية، حلب- سوريا، الطبعة الأولى، 1932م.

[80] في ظلال القرآن (131/1)، سيد قطب، مرجع سابق.